تعقيبات

الدكتور عبد الوهاب عزام بك :

ذلك رجل جمّله الله بالتواضع ، وكمّله بالعلم ، وزينه بكل فضيلة ، وما ذا ترى فى رجل له فى الناس ألف صديق وليس له فيهم عدو واحد ؟ !

شاعر عربى ينفح شعره بأنفاس الإنسانية ، وأديب كاتب تتجلى فى نثره نفحات العبقرية ، وعالم باحث لا يزدهيه الفخر بغزير علمه ، ولا يدخله الغرور بجزيل فضله ، ولكنه دائماً موطأ الجانب ، يلقى إليك بما عنده وكأنه يأخذ منك ويتلقى عنك ، ثم هو بعد ذلك يتوجه بالشكر إليك ...

ذلك هو عبد الوهاب عزام الذى وقع اختيار أولى الأمر عليه أن يكون وزيراً مفوضاً لمصر فى المملكة العربية السعودية ، وإنه لاختيار موفق كسبت به تلك « الوزارة » ، ولن يخسر به الأدب والعلم شيئاً إن شاء الله ؛ ذلك لأن الرجل أديب بطبعه ، وإنسان متفتح الإنسانية ، فصلته بالأدب هى صلة النفس ، فمحال أن تنفك أو تضعف بحال من الأحوال .

إننى لن أكتب عن عبد الوهاب عزام اليوم كما أعرفه ، ولكنى أقتصد ذلك لفرصة قادمة ، وأكتفى اليوم بهذه التحية القصيرة ، وإنها لتحية للأدب والفضل والإنسانية فى شخصيته النبيلة ...

هذه المؤتمرات :

فى ٢٣ أغسطس الحالى يعقد فى سورية « مؤتمر الآثار بالبلاد العربية » الذى قررت عقده جامعة الدول العربية . وقد رشحت وزارة المعارف ثلاثة من أساتذتها لتمثيلها فى هذا المؤتمر . وفى ٣ سبتمبر المقبل يعقد المؤتمر الثقافى الأول الذى قررت جامعة الدول العربية أيضاً عقده فى لبنان ، وقد اختارت الوزارة ستة من كبار أساتذتها لحضور هذا المؤتمر

ولعل القراء يذكرون أنى عرضت لهذه المؤتمرات التى تدعو إليها الجامعة العربية من قبل ، وأشدت بما تؤدى إليه من الفوائد والآثار الطيبة ، ولكن الذى يهمنى أن أشير إليه هنا هو أن الجامعة تجرى فى التدبير لعقد هذه المؤتمرات على نهج الحكومات والوزارات التى تأخذ نفسها بالأوضاع الرسمية ، وكنا نحسب أن الجامعة ستجعل من عقد مؤتمراتها واجتماعاتها مجالا يتلاقى فيه رجالات العرب ومفكروهم وأساتذتهم لا أن تكون مجالا لموظفى الحكومات فحسب ، وإلا فإنها ستكون عديمة الجدوى قليلة الفائدة ...

لقد كان الواجب على الجامعة أن تترك الحكومات وموظفيها جانباً ، وأن تعتمد فى مؤتمراتها على رجال الفكر الأحرار فتتيح لهم الفرصة للبحث والمناقشة وتبادل الرأى ، فإن هذا هو الأليق بمهمة الجامعة وغرضها فى توثيق الروابط الثقافية ، أما أن تجعل مؤتمراتها قاصرة على موظفى الحكومات الذين تمنحهم الرحلة للنزهة أكثر من الرحلة للعلم فأن ذلك مما يذهب بقيمة هذه المؤتمرات ، وسيذهب أولئك الموظفون إلى تلك المؤتمرات ، ثم يعودون ليضموا تقريراً بما رأوا وشاهدوا ، ثم تمضى الأيام وتمضى ولن يرى ذلك التقرير ضوء النهار ...

وكم ذا بمصر من المضحكات !

فى القرن الرابع للهجرة جاء المتنبى إلى مصر مادحاً لكافور الأخشيدى ، مؤملا أن يجد مقاماً طيباً فى رحاب المصريين ، ولكنه سرعان ماضاق بهذا المقام فهرب ناجياً بنفسه ، وقد أصلى كافوراً والمصريين الهجاء المقذع المرير ...

ويقول مؤرخو الأدب : إن المتنبى كان يطلب ولاية من كافور، فلما أباها عليه لجأ إلى هذا الصنيع الذى صنع ، والواقع الذى يدل عليه شعر الرجل غير هذا ، إنه ضاق بمصر وبالمصريين ، لأنه رأى الأوضاع فيهم مقلوبة : رأى أعجمياً يدرس أنساب العرب فقال :

وكم ذا بمصر من المضحكات (م) ولكنه ضحك كالبكا

ورأى من أهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

ورأى عبداً خصياً ناقص الرجولة يحكم رجالا من المصريين اكتملت لهم كل صفات الرجولة فقال :

لا شىء أقبح من فحل له ... تقوده أمة ليس لها رحم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

وقد كان فى إقليمنا واعظ يعظ الفلاحين فيقول : أيها الناس إياكم وتعاطى الحشيش ، فإنه ضار مهلك ، لا أقصد الحشيش الأخضر الذى تأكله البهائم ، وإنما أقصد الحشيش الذى مثل هذا ... ثم يخرج من لفائف عمامته قطعة من ذلك المخدر القاتل فيطلعهم عليها ...

ورد كل هذا على ذهنى وأنا أقرأ كلمة للأستاذ أحمد الصاوى محمد فى « أخبار اليوم » حمل فيها على معالى وزير المواصلات لأنه يشجع جماعة من الشبان الأدباء على إظهار مواهبهم ، ويسهل لهم سبيل الظهور بآثارهم ، والأستاذ الصاوى يعلم علم اليقين أن التشجيع فى الأدب حافز الظهور والنهوض ، بل حافز الخلق والإبجاد ، وأن أرباب الأقلام يطالبون الدولة بأداء هذا الحق ويقدرونه واجباً من واجباتها ، وأن الأمر فى هذا كما يقول أبو حيان التوحيدى : « ولا بد من فتى يعين على الدهر ويجمّ راحلة الأمل » ! بل إن الناس جميعاً يعرفون أنه لولا تشجيع سيدة بارة كريمة لما كان هذا القلم الذى ينكر اليوم على وزير ما يبذله فى تشجيع شبان أدباء ...

أنا لا أريد أن أدافع عن معالى الوزير ، فللوزير قلم مبين ، ورأى مكين ، ولا أريد أن أدافع عن « أدباء العروبة » ، فكل منهم قادر على أن يدافع عن نفسه وعن جماعته ، ولكن الذى يهمنى أن يقحم الأستاذ الصاوى فى هذه المجلة بموظف صغير — على حد تعبيره — هو الأستاذ محمود السيد شعبان الذى يشرف على تحرير مجلة سكة الحديد لأنه ينشر فيها مقطوعات شعرية فى الغزل ووصف المرأة ...

وليس فى هذا موضع للمؤاخذة من الناحية الخلقية ولا من الناحية الاجتماعية ، فإن جميع الصحف والمجلات تنشر شعر الغزل والتشبيب ، والإذاعة الحكومية تذيع على الناس صباح مساء فنوناً من المغازلات والمعابثات ...

والفن الصحيح يقضى بأن تحلى المجلة العلمية بهذه الطرائف الفنية لتخفف ما فيها من ثقل المسائل العلمية وتلطف ما بها من جفاف النظريات !

ولكن العجيب بعد هذا كله أن يكون الأستاذ الصاوى هو الذى ينكر هذا ويندد به وأكثر الموضوعات التى يطرقها هو الحديث عن المرأة فى شتى صورها ومظاهراتها

دع إنكار هذا لغيرك يا أخى ، دعه لسماحة الشيخ الصاوى شيخ الطرق الصوفية ، أما أن تتصدى أنت لذلك ، فإنه يكون منطق الأعجمى الذى يدرس أنساب العرب . وواعظ قريتنا الذى ينهى عن الحشيش !

الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب :

كتب الدكتور زكى مبارك فى جريدة البلاغ مقالا أشار فيه إلى الموازنة الأدبية التى عقدها الحريرى فى إحدى مقاماته بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب ، وقال الدكتور : إن الفكرة فى هذه الموازنة جديدة عند الحريرى فما سبقه إليها باحث من المسلمين

قلت هذا حكم يحتاج إلى التحرير والتصحيح ، فإن الفكرة فى الموازنة بين الكاتب المنشئ والكاتب الحاسب قديمة فى الأدب العربى ، وتسبق الحريرى بأجيال وأزمان ، فقد كان الكتاب الحاسبون يعرفون بكتاب الخراج ، وقد أشار عبد الحميد الكاتب فى رسالته التى توجه بها إلى الكتاب إلى هذا المعنى إذ يقول : « ولا تضيعوا النظر فى الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج » . والواقع أن الحريرى وجد مادة متوفرة لتلك المناظرة التى عقدها ، حتى الأوصاف التى خلعها على الكاتب المنشئ والأخرى التى وصف بها الكاتب الحاسب قد أخذها كلها عن الكتاب السابقين وليس له فيها من فضل إلا المقابلة والمزاوجة وإيثار السجع فى التعبير

ولقد كان رجال الأدب والعلم ينظرون إلى الكتاب الحاسبين نظرة إغضاء على العموم ، وكانوا يعتبرون علم الحساب من العلوم التى لا تحتاج إلى موهبة خاصة أو فطرة سمحة ، وكانوا يسمونه علم الصبية ، ولا يحسون على الأخذ منه إلا بقدر ما يعين على معرفة التقسيم فى علم الفرائض . وقد ظلت آثار هذا الرأى بادية بين علماء الأزهر إلى عهد قريب ؛ وكل ما أريد أن أشير إليه هو أن الحريرى لم يكن المبتدع لهذه الفكرة ولا أول من جال فى مجالها كما ذكر الدكتور ...

« الجاحظ »